مفاهيم مشوهة عن الله الآب

==========

"مشير سمير"

إن شخصية الله الآب هى أكثر شخصية قد تعرضت للتشويه و سوء الفهم في التاريخ ، فإبليس يضع هذا الأمر كهدف محورى يسعى جاهدا لتحقيقه ، أن يشوه صورة الآب ، بل ومعني الأبوة في أذهان البشر متوقعا أن ينجح في إبعادهم عن العلاقة مع الآب . الأمر الذى جعل مجئ الإبن بنفسه متجسدا ، أمرا حتميا لكي يعلن لنا حقيقة الآب (يو١: ١٨) .

إن إبليس يريد أن يقنعنا بطرق عديدة بأن الله لايحبنا ولا يقبلنا ولا يغفر لنا بل إنه متربص بنا ليجازينا علي أخطائنا ، إنه يريد أن يقنعنا أن الآب غير مهتم بنا ، وإنه أرسل إبنه ليقوم بمهمة الفداء لأن لم يكن لديه الوقت ليقوم بذلك بنفسه ، فهو منشغل بإمور كثيرة حتي إنه لايستطيع أن يستمع إلينا ، ونحن يجب ألا نتوقع منه أكثر مما قد فعله لنا ، بل يجب علينا أن نكمل بمفردنا الطريق بما فيه من صراع وألم .

ولكن هناك حقيقة هامة وهى أن: **إبليس كذاب جدا، متي تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له**

لأنه كذاب وأبو الكذاب. (يو٨ :٤٤)

إن الكذب ليس بشئ غريب أو جديدعن إبليس فهذه طبيعته أنه **كذاب** (أى شديد الكذب) وهو عادة يأتي بالخبرات السيئة ليؤكد بها أكاذيبه عن أبوة الله وصلاحه .

ولكن كيف تتحول هذه الأخبار السارة الي أخبار سيئة؟!

لكي نجيب عن هذا السؤال دعونا نسأل أولاً:

من أين تاتي إلينا صورة الله الآب ، ومن أين نحصل عليها؟

إن معني أبوة الله يصل إلينا عن طريق قناتين:

١ - قناة أساسية وهي الله نفسه، من خلال الكلمة أساساً.

٢ - قناة أخرى ثانوية وهي العلاقة مع الوالدين في الصغر وخصوصاً مع الأب الذي هو أول معني للأبوة نعرفه في حياتنا. فنحن نعرف أبانا الذي على الأرض (في البيت) قبل أن نعرف أبانا الذي في السموات. ورغم أنها قناة ثانوية إلا أننا سنرى كيف أنها قد تلعب دوراً في إعاقة القناة الأولى الأساسية.

وبسبب التشوش في المفاهيم الذي حدث لأدم بعد سقوطه وإنفصاله عن الآب أصبح الإنسان عنده مفاهيما كثيرة مشوهة لينقلها الي البشرية كلها جيلاً من بعد جيل.

ونحن كأطفال نتعلم من الخبرات الفعلية التي نجتازها مع الأشخاص ومع الأشياء قبل أن نتعلم من الأفكار والمفاهيم النظرية التي نتلقاها فيما بعد، قبل أن نتعلم حتى اللغة (مثال: شعار التدخين ضار جداً بالصحة، شعار يرفعه الجميع ومع ذلك أغلبهم يدخنون، ماذا يتعلم الطفل عندئذ؟). وما نتعلمه في الطفولة يصبح ركائز أساسية لحياتنا وقيمنا ومعتقداتنا في المستقبل. وهكذا أصبح من الطبيعي أن يكون معني الأبوة في حياتنا هو إنعكاس وإسقاط لما تعلمناه من أبائنا الأرضيين بما فيهم من صلاح وفساد **..!!**

وكل منا يختلف مفهومه للأبوة بإختلاف أبائنا الأرضيين وإختلاف طرقهم في تنشئتنا.

مثال (من الرسم التوضيحي الملحق):

الأخبار السارة عن أن الله "ثابت ولا يتغير ويمكن الإعتماد عليه، ويقبلني بلا شروط"، تتحول إلى "محبة مشروطة وقبول متغير على حسب حالتي وأدائي أنا". ويظهر ذلك في عبارات مثل تلك التي نسمعها دائماً:

"أنا عارف إنه (الله) مش مبسوط بيّ علشان أنا مأخدتش الخلوة ومأعدتش معاه بقي لي فترة"،

"بعد ما بأعمل الخطية بأحس إنه (الله) بعيد شوية، وزعلان مني".

حقوق الطبع و الاستخدام محفوظة لخدمة المشورة والنضج المسيحي

تلك العبارات التي ربما ترجع جذورها إلى محبة مشروطة من الوالدين في الصغر، وقبول مرهون بسلوكي الحسن. وهنا نرى كيف أن مثل تلك العلاقات المريضة في سنوات النمو المبكرة قد تلعب دوراً في تشويه تصوراتنا عن الله وبالتالي إدراكنا له.

وهناك أنواع كثيرة من الآباء نقابلهم في حياتنا وقد تلعب علاقتنا معهم دوراً في تكوين إعاقة وتشوه في تصوراتي ورؤيتي لله. فعلي سبيل المثال وليس الحصر:

هناك الأب الغائب دائما عن البيت ، وهناك الأب الأناني الذي يطلب ما لنفسه ، والأب المتسلط وهناك الأب المعطي ولكن عطائه دائما مشروط وليس مجاني ، وهناك الأب المثالي بطريقة زائدة والذي يورث أبنائه عقدة الكمال ، وهناك أيضا الأب الذي لا يعرف كيف يعبر عن محبته بطريقة يفهمها الطفل .

وهؤلاء الأباء جميعهم يؤثرون في تشكيل مفهوم الأبوة لدينا كلٍ بطريقة تختلف عن الآخر كما لو كانت خبرات الطفولة تصنع لنا فلتر أو مرشح نعرف من خلاله الله الآب أو تضع لكل منا نظارة -بها نرى صورة الآب -تختلف عن التي تضعها للآخر. هذا بالإضافة إلى المعاني العامة التي يلقنا إياها المجتمع حسب ثقافتنا (مثال: سي السيد، الأب في المفهوم المصري). ومن هنا ينشأ التشوه في المفاهيم والذي أغلب الظن سوف يشكل عوائق وحواجز جسيمة نحو إقترابنا من الله في علاقة شخصية ومعرفتنا به. وبهذا نظل محبوسين في سجن إعاقتنا النفسية نحو معرفة الله، وهكذا ندور في حلقة مفرغة.

وهكذا يصبح لكل منا في ذهنه إلها يختلف عن الذي للآخر وليس الإله الحقيقي، رغم إشتراكنا في عقيدة واحدة وإيمان واحد، على حسب فلتر الخبرات المريضة الموضوع على بصيرتنا نحوالله. وكأن الله أصبح نظرية أيديولوجية فقط ، أما الإله الشخصي الحقيقي فلدينا منه الآلاف والآلاف كأصنام مختلفة من واحد للآخر. وهذا ما يجعل الكثيرين يقعون في صراع بين إقتناعهم اللاهوتي عن الله وبين ما يشعرون به حقيقة في حياتهم العملية ، فهم غير قادرين أن يلمسوا حقيقة أنه إله شخصي - أب .

ولذلك فغير المسيحيين يرفضون من الأصل فكرة أن يكون لهم علاقة بالله كأب لإستحالتها العقلية ويقبلونه كنظرية أيديولوجية فقط كبديل للنظريات الأخرى كالتطور والنشوء والإرتقاء .. إلي أخره .

من هنا نستخلص **قاعدة هامة** ، وهي أنه:

مهما إن كان ما نعرفه عن عقيدتنا صحيح فلن يكون هناك أي طعم للإختبار في حياتنا، ما لم يكن لدينا علاقة شخصية ملموسة مع الله الآب وليس مع مجرد عقيدة وأفكار صالحة ولكن غير حية.

إن أردنا أن نتخلص من هذه المفاهيم المشوهة التي تغشي أبصارنا عن حقيقة الله، فلا مفر لنا من أن:

١- ندرك أولاً ونتلامس مع حقيقة أننا لدينا أفكار ومفاهيم وتصورات غير واضحة وغالباً مشوهة عن الله.

٢- ندرك أن مجرد الأفكار اللاهوتية العقلية الصحيحة، ولكن غير المعاشة عن الله، لا تكفي لمعرفة الله. لا تكفي لتكون بديلاً للعلاقة الشخصية مع هذا الإله.

٣- ندرك أن العلاقة الشخصية الحية (أي التي يحدث فيها تواصل يومي متبادل) هي الطريق الوحيد نحو المعرفة الحقيقية لله.

٤- ندرك أن القناة الأساسية التي من خلالها تحدث هذه العلاقة الإتصالية الحية هي دراسة الكلمة والصلاة. وأقول دراسة الكلمة وليس مجرد قراءتها، حيث أن هذه الدراسة هي القادرة فعلاً على تغيير مفاهيمي وأفكاري وتصوراتي.

٥- ندرك أن إعاقاتنا النفسية قد تظل حاجزاً نحو إقامة هذه العلاقة التواصلية الحية مع الله ما لم يحدث هناك نوع من المعالجة لها، وهذا ما تقوم به خدمة المشورة الفردية أساساً.

مراجع:

١- ج.ب. فيلبس، "ما أصغر إلهك"، المنشورات المعمدانية، بيروت

٢- David Semands, "Healing of Memories", Victor Books, UK 1988

كيف تتحول الأخبار السارة إلى أخبار سيئة